

ج: كان رحمه الله ذا قلب كبير يعفو عن المسيئين إليه ولا يقابل الإساءة بمثلها بل كان يسامح من أساء إليه ولا يحمل في قلبه على أحد وكان يظن بالناس خيراً ولا يظن السوء أبداً وعندما كنا نطلب منه أن يرد على بعض المسيئين إليه فيقول والله ليس لدي وقت كي أقرأ أو أسمع ما يقولون عني فليقولوا ما يشاعن وليكتبوا ما يريدون فإن الله يعلم كل شيء ولا يهمني أن يعرفوا هم شيئاً وفي مرة من المرات كتب أحد الشباب ضده منشوراً مكوناً من عشرة صفحات ورجونه كثيراً أن يقرأه ويرد عليه ولكنه لم يوافق فقمنا نحن بقراءته عليه وطلبنا منه أن يرد عليه فأبى ذلك وقال لي قول الله عز وجل الذي كان يردده دائماً في مثل هذه المجالات «فأما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض».

س: بماذا تشعرون الآن وبعد أن فقدت العائلة ربها واثنين من فتيات كبدتها رحمهم الله؟

ج: إنني لأشعر أن نعمة الله علينا كبيرة وأن الله قد أكرمنا بهذا الشرف العظيم وأشعر بأن الله قد تقبل دعائي حيث أنني كنت دائماً أدعوه بقلب صادق أن يأخذ زوجي وأولادي شهداء في سبيله عند انتهاء أجلهم وكنت دائماً أدعو الله بأن يكرمني الله بشهيد واحد يشفع لي وإذا به يكرمني بثلاثة شهداء مرة واحدة فحمدت الله وشكرته على هذه النعمة وإنني والله حتى الآن لم أشعر بالحزن ولا أشعر بأنني فقدتهم لأنني أعلم أن الشهداء لا يموتون بل هي حالة انتقال من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية إن شاء الله وإنني أشعر بالسعادة تفيض علي من داخلي فتغمرني وهذا والله أعلم ببركة الشهداء وببركة دعاء الإخوة والأخوات لي في كل مكان فجزاهم الله عني خيراً وبارك فيهم وأدعو الله أن يجمعنا بالشهداء في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

س: كلمة أخيرة للنساء عامة ولنساء المجاهدين والشهداء خاصة؟

ج: يا نساء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالقرآن دستوراً لن تقوم للإسلام قائمة إلا بالجهاد ولن يكون الجهاد إلا إذا دفعت كل واحدة منكن بزوجها وأخيها وأبيها وقلادات كبدتها .. واعلمن أن الجهاد لا يغير من الأجل شيئاً فالعمر محدود ويعد الأحياء عن الجهاد لن يطيل في عمرهم ولا بد لك أختي المسلمة أن تعيدي صياغة نفسك من جديد وتتخذي من أسماء وخولة والخنساء نبراساً لك ولا بد أن تجعلي من نفسك نموذجاً حياً للتضحية والفداء ولا بد أن تدفعي عجلة الجهاد بكل ما تملكين من قوتسواء الجهاد بالمال أو بالكلمة أو بالنفس حتى تفوزي برضى الله وتفوزي بسعادة الدنيا والآخرة.

ويا نساء الشهداء إنني أهنئكن من كل قلبي على ما نلتن من شرف الدنيا والآخرة ولا تتكنن عن الطريق واصلن الطريق حتى النهاية وقدمن المزيد من الشهداء ولا تتعاسن بسبب فقدكن للشهداء فشهادتهم حياة لهم ونور على الطريق من خلفهم وأبشركن أن الشهداء أحياء عند ربهم وأحياء في قلوب الناس بأعمالهم وسيرتهم فلا تحزن وثابتن على الطريق .. أسأل الله أن يثبتنا وإياكن على هذا الطريق .. إنه سميع مجيب.

أم محمد في حديث شامل للمسلمون (١)

منذ أن وصلت المملكة وهي تنتقل من محاضرة إلى أخرى ومن لقاء إلى غيره ولا حديث لديها غير الجهاد .. والجهاد تلك كانت رسالة زوجها الشيخ الشهيد عبدالله عزام، واليوم تحمل أم محمد أو بالأحرى تستمر في حمل نفس الرسالة.

وبقدر ما كان الشباب يلتفون حول الشيخ الشهيد ويتابعون محاضراته في مساجد المملكة تلتف الفتيات والنساء حول أم محمد وما من محاضرة أو لقاء عقدته إلا وحضرته عدة مئات من الفتيات بعضهن ملتزمات يتابعن أخبار الجهاد والمجاهدين أخريات حضرن لرؤية المرأة التي فقدت زوجها وولديها في لحظة واحدة .. وصبرت.

(١) جريدة المسلمون العدد ٢٧٢ / ٢ شوال ١٤١٠ هـ جدة (المسلمون من جمال خاشقجي رداً على التنسي).

س: من المعروف عن الشهيد من خلال مؤلفاته أنه صاحب قلم سيال وعلم غزير ومؤلفات كثيرة .. فما الأوقات التي كان يحلر للشيخ أن يكتب فيها وهل له مؤلفات لم تنشر للآن؟

ج: كان رحمه الله ذا علم غزير وقلم سيال ويحرص على العلم وذا فقه واسع لا ينتهي وكان يتخذ من الأوقات المباركة وسيلة ليفتح الله عليه وذلك في الوقت ما بين صلاة الفجر وقيل صلاة الظهر وكان دائماً قبل أن يجلس للكتابة يتوضأ ويصلي ركعتين سنة قضاء الحاجة ويدعو الله أن يفتح الله عليه الدعاء وبفضل بركة الوقت حيث كان دائماً يردد حديث الرسول (ص) «بورك لأمتي في بكورها» وكان يردد دائماً حديث الرسول ﷺ المروي عن عائشة رضي الله عنها «عجبت لأهل الصبحة كيف يرزقهم الله» أهل الصبحة الذين ينامون بعد صلاة الفجر.

س: كثرت الأسئلة حول علاقة الشهيد بحركة حماس في فلسطين وخاصة بعد نشر كتابه حماس الجنود التاريخية والميثاق فماذا عن هذه العلاقة؟

ج: كان الشيخ على اتصال دائم مع حركة الجهاد الفلسطيني المتمثلة في «حماس» عن طريق اتحاد الطلبة.

فكانوا يوافونه بأخبار الجهاد أولاً بأول وكان يعد الشباب الذين لديهم التصاريح ويستطيعون أن يذهبوا إلى فلسطين ويرسلهم بعد الإعداد وينصحهم بأن يبقوا في فلسطين وينضموا إلى المجاهدين هناك وكان كثيراً ما يجمع التبرعات باسم الجهاد في فلسطين ويدعو الله دائماً أن يجعل له سبيلاً وطريقاً للجهاد في فلسطين من أجل تحرير مسرى رسول الله ﷺ والدليل على ذلك تأليفه لكتاب «حماس الجنود التاريخية والميثاق» حتى يبرهن للناس أن الجهاد في نظره فرض عين في كل مكان من بلاد المسلمين يستطيع أن يصل إليه الإنسان حيث لا فرق في نظره بين الجهاد في فلسطين والجهاد في أفغانستان.

س: مع كثرة أحباء الشيخ ومريديه إلا أن هناك فئة كانت تثير الشبهات حول الشيخ الشهيد فماذا كان رده وشعوره حول هذه الافتراءات؟

وفي محاضراتها يكون الحديث عن تاريخ الجهاد وواقعه وطموحاته ودور المرأة الأفغانية مجاهدة وصابرة، ودور المرأة السعودية عاملة ومؤيدة وينساب الحديث عن دور المرأة المسلمة عموماً في صحوة الأمة فلا تنترك أم محمد الفرصة في حث الحاضرات على التخلي ولو قليلاً عن بعض الكماليات وصور الترف التي اشتهرت النساء بالتعلق بها.

«فالهم كبير والأمة ممزقة ودم المسلم مستباح في أكثر من مكان ولا يجوز أن تبقيين بعيداً عن هذه التضحيات» كما قالت أم محمد للحاضرات في مسجد الشيعي بمدينة جدة. ثم ينتقل الحديث عن المشاريع التي ترعاها في خدمة المهاجرين خصوصاً المرأة الأفغانية كالمشاغل ومعاهد التدريب وتحفيظ القرآن، وأخيراً أكثر مشاريعها إنسانية هو توفير لبن الأطفال للايتام الرضع الذين فقدوا أمهاتهم بعد أن استشهد آبائهم.

وتنهال التبرعات على أم محمد دون أن تطلبها نقداً وزهبا وذلك لسمعة الشيخ الشهيد الذي مات مديناً وهو يجمع الملايين للمجاهدين ويشرف على عشرات المشاريع الصحية والاجتماعية من خلال مكتب الخدمات الذي لا يزال يعمل في المهجر وداخل أفغانستان فقد كان رحمه الله يحرم على نفسه أموال التبرعات حتى على نفقاته الادارية.

* وبين موعد لها في الطائف وآخر في جدة التقت المسلمون بأم محمد في حوار شامل وكان السؤال الأول عن سبب حماسها للجهاد، وفيما إذا كان ذلك لاكمال ما بدأه الشيخ عبدالله عزام فقالت:

- الشيخ هو الذي دلنا على هذا الطريق وأنا أؤدي بعض الواجب نحو الجهاد والمهاجرين وأسر الشهداء، ولا أفعل ذلك للشيخ وإنما أرجو به وجه الله سبحانه وتعالى.. وهذا العمل أقوم به منذ تسعة أعوام خلال حياة الشيخ رحمه الله.

* هل تشعرين أن مسؤولية الدعوة للجهاد زاد حملها عليك بعد استشهاد الشيخ؟

- عندما استشهد الشيخ تساعلت في البداية من سيحل محله في الدعوة للجهاد وفي جمع التبرعات للجهاد؟ إلا أنني تداركت أن تساؤلي كان خطأ لأن الدعوة لا تتوقف بموت فلان أو فلانة فالدعوة مستمرة والاسلام مستمر وإلا لكان انطوى بمرور الرسول ﷺ.

في الوقت نفسه لا أنكر الفراغ الكبير الذي تركه الشيخ في ساحة الدعوة ولم يعد هناك مثله من العلماء يقوم بدوره بين المجاهدين، فلقد كان طاقة، فهو داعية وإداري ومجاهد عالم ومخطط ويقوم بأعمال الاغاثة وجمع التبرعات فجميع هذه الصفات نادراً ما تجتمع في إنسان واحد.

* إثر لقاءك المتعددة بالمرأة السعودية، ماهو انطباعتك عن مدى متابعتها وادراكها للجهاد وقضايا الأمة؟

- للاسلام في قلب وعقل المرأة السعودية صدارة وهي طيبة بطبعها رغم ما يشوب ذلك من انشغال بالدنيا، وهناك فئة قليلة جدا مهتمة بحماسة وبمتابعة أمور الجهاد والمسلمين عامة ومن على مستوى رفيع في ادراك هذه القضايا، وأتمنى لو تخفف אחتي وأبنتي السعودية بالمظاهر والملابس والأثاث والحرص على الكماليات.

للمرأة دور خارج البيت:

* كيف وجدت حماسة النساء للجهاد؟

- لا تتأخر النساء في المساعدة مادياً أو معنوياً، لاحظت أن بعضهن يسمعن عن الجهاد الأفغاني لأول مرة ولم يسمعن من قبل عن بشاور وأيتامها وأراملها وجرحاها والملايين المهاجرة حولها. لذلك ركزت في أحاديثي عن تاريخ الجهاد وأسبابه وكيف أنه بدأ ضد الأفغان الشيوعيين الذين استنجدوا بالسوفييت لانقاذهم من هزيمة محتمة أمام المجاهدين المسلمين، ومن ثم واجه المجاهدون الروس قائماً وهو الدولة الشيوعية. اتعجب حتى من بعض المتعلمات اللواتي لم يبدأن جهداً في السؤال أو قراءة مقالة أو كتاب عن الجهاد الأفغاني.. أخشى على المرأة أن تشغل ببيتها وأسرتها وملابسها فقط وتهمل أن لها دوراً آخر خارج هذا الإطار الضيق.

* ما هو السؤال الذي يكثر طرحه عليك؟

- كثير ما أسأل عن أسباب الخلافات بين المجاهدين وفيما إذا كانوا يقاتلون بعضهم البعض، الاخوات الملمات بالقضية يسألن دائماً عن دور المرأة رغم أنهن يعرفن الجواب إلا أنهن يردن أن تتعرف النساء الأخريات على دورهن في خدمة الجهاد.

أما السؤال الذي ما دخلت مجلساً إلا وسئلت عنه فهو: هل تدفع التبرعات لهيئة الاغاثة؟ وهل تصل التبرعات؟ ولهؤلاء أؤكد: ادفعوا التبرعات لهيئة فانها تصل وفي الساحة متسع للعديد من الهيئات فالمسألة الافغانية هائلة تحتاج إلى ميزانية دول، والاخوة في الهيئة أو لجنة البر الاسلامية يتابعون العمل بأنفسهم في بشاور وداخل أفغانستان، وأؤكد للجميع أن التبرعات تصل واثارها واضحة وإن كانوا يرون صوراً مستمرة للمأساة فذلك أن حجم المأساة أكبر من حجم التبرعات.

المرأة والجهاد:

* ماهو السؤال الذي فاجأك؟

- فاجأني ألا تسألني امرأة عن دورها في الجهاد عموماً وليس في التبرع ودعم المهاجرين فقط خصوصاً ان خروج المرأة للجهاد غير ميسر مثملاً هو لأبنها أو زوجها، ولو سئلت عن ذلك لطلبت من النساء أن يعودن أنفسهن أولاً على الحياة الجهادية إلى أن يحين لهن فرصة المشاركة في هذا الفضل العظيم وذلك بأن تتخلى تدريجياً عن بعض الكماليات وتعويد نفسها على الصبر والتحمل ثم تبدأ بنقل ذلك إلى أولادها وأسرتها، فالطفل المدلل الذي يحصل على كل ما يريد لن يتحمل قسوة الرباط والجهاد، فالجهاد يعني التخلي عن كل شيء والزهد في الدنيا.

لذلك نجد أن بعض الشباب الذين يأتون بحماسة للجهاد سرعان ما يفقدون حماسهم بعد شهر أو شهرين يمضيها في أفغانستان ويصعب عليه أن يعود إلى أهله وأصدقائه ويقول أنني لم اتحمل الجهاد فيخلق المعاذير بأن في الجهاد سلبيات والمجاهدون مختلفون. إن العيب ليس في الجهاد ولكن العيب في أنفسنا.

إن أقل واجباتنا قبل الجهاد هو الاعداد، وعندما تكون الأم مستعدة للجهاد لن تمنع ابنها من الخروج وتقول: أخاف أن تقتل، فالموت ليس بيدها ولو ضمت ابنها بين ذراعيها فلن تمنع عنه الأجل إذا جاء.

* هل تنوين الاستمرار في الإقامة في بشاور مع العائلة، وحتى متى؟

- لن أفكر في العيش في غير بشاور طالما هناك جهاد في أفغانستان، فلا يوجد شيء يبقيني في باكستان غير الجهاد، فالحياة هنا ليست مريحة ولكني تعودت بل أحب وأعشق حياة الجهاد، حتى أولادي يفضلون العيش في بشاور على العودة للأردن أو السعودية أو أي بلد آخر تتوفر فيه فرصة الحياة به في أمن ورفد.

في الأردن أملك بيتاً وسيارة وأستطيع أن أعيش هناك حياة مريحة دون أن اعتمد على أحد ولكن كساحة لخدمة الدعوة والجهاد لا يوجد أفضل من أفغانستان إذ تقدم هناك الملاجيء والمدارس والمشاغل وحلقات التعليم والتوجيه للمرأة الأفغانية، في باكستان سعة للعمل لا تتوفر في مكان آخر.

* هل تشجعين المرأة السعودية لزيارة بشاور حتى لو كانت الزيارة قصيرة لأسبوع أو اسبوعين؟

- بعض النساء يردن أن يخدمن الجهاد ويعتقدن أن الزيارات القصيرة لن تتيح لهن الفرصة لذلك ولكن هذا غير صحيح فالزائرة تستفيد شخصياً لتتعلم وترى بنفسها كيف يكون إعداد النفس وعندما تطوف بمخيمات المهاجرين ستعرف معاني الصبر والتحمل، ستعرف حينئذ كيف تبذل وتعطي وتضحي سيكون هذا أعظم تجربة تمر بها أية امرأة لتربية النفس، بعد ذلك ستشعر بانقاصها لمطالب الدنيا وسترى الناس الذين عدموا ضرورات الحياة وهم يضحون من أجل الجهاد ولكن بماذا ستضحي هي؟

سيكون أول صراع بينها وبين نفسها الأجابة عن هذا السؤال... ماذا قدمت وبماذا سأضحى؟ هذه الزيارة سيكون لها طابعها الخاص وعائدها سيكون لخير الزائرة نفسها قبل أن يكون للمهاجرين، ثم إن من رأيي (ليس من رأي كمن سمع) فالزائرة ستطلع

على حقيقة الوضع وستكون أشد حماسة لخدمة الجهاد بعد عودتها، ومعظم الذين زاروا أفغانستان سرعان ما يعودون إليها في زيارة تلو الأخرى..

لا أنصح الداعية بالتعدد:

* في لقاءك الأخير بمسجد الشعبي بجهة طلبت فتاة رأيك في شاب مجاهد ومتزوج وتقدم لخطبتها فنصحتها برده، فهل ترفضين التعدد؟

- أنا لا أرفض التعدد ولا أملك أن أقول فيه شيء لأنه قانون من عند الله، ولكن لا أنصح الداعية المجاهد بالتعدد لضيق وقته ووقت الداعية ثمين، فهذه تتجرب وتلك تتجرب فما أكثر المحدثين عندنا وما أقل الدعاة وأقصد بالدعاة بمعنى الكلمة الداعية الذي ينفق وقته وفكره وجهده كله للدعوة، لذلك لا أظن أن بإمكان الداعية أن يعدد.

ولكني كامرأة سأقبل بالتعدد إذا وقع علي كقضاء من الله وقدره ولو قدر أن تزوج زوجي علي فلن أقلب الدنيا وأجعل من ذلك قضية وأدبر كل شيء صالح في حياتنا، ولكنني أؤكد مرة أخرى أن أية امرأة لا تحب أن يتزوج عليها زوجها.

سأخطب لزوجي بنفسه:

وهناك قضية أخرى وهو أن بعض الاخوات المتدينات يقلن أنا سأخطب لزوجي بنفسه وهذا «كلام فاضي» فإذا خطبت له بالفعل فذلك ناتج عن علمها وبقينها بأنه سيتزوج سواء رضيت أو رفضت. فقيامها بالخطبة فذلك من باب أن تختار رفيقتها بنفسها التي تتوقع أن تتفق معها وليس من باب التصديق عليه أما أنها تحب لزوجها أن يتزوج عليها هذا «كلام فاضي» حتى لو تظاهرت به بعض النساء لأنه ليس نابعاً من القلب.

ويجب أنؤكد هنا أنه ليس خطأ أن يمارس الرجل حقه في التعدد فبعض الرجال استطاعوا أن يوفقوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع رغم أن مشاعر معظم النساء الواقعات في ذلك أن زوجها لا يعدل إلا مظهرياً، لكن أقول إن الداعية وضعه يختلف لأنني كنت مع رجل داعية ومجاهد ولو جمعت الوقت الذي كان يعطينا إياه لما زاد عن شهر واحد في كل سنة أو سنتين فكيف سيدبر الوقت لزوجة أخرى أو زوجتين أخريين مع أولادهن؟ لن يكون عنده الوقت حتى يطلع على شئون زوجاته وأولاده ويقوم بواجبه في التربية والتوجيه. أتصور أنه لن يعرف أسماء أولاده وأشكالهم، الداعية يختلف أسلوب حياته عن غيره. وإن وجد من الدعاة من عدد فلا نقول أنهم مخطئون ولكن لا الوقت ولا التفكير يسمح بدخول زوجة أخرى في حياة الداعية لأنه لا يملك وقته ونفسه إذ أنهما ملك للإسلام وقضايا المسلمين.

عندما كان الشيخ يدرس في الجامعة بالأردن كانت النساء يحذرني من أنه سيتزوج فالجامعة مختلطة ولكني كنت أقول لهن إن اخذوه فهذا مقدر وإن تركوه فهذا مقدر أيضاً، وكنت أتعب حين طلبن مني أن اتنبه فكيف اتنبه؟ هل أتابعه في الجامعة ولماذا اتنبه وأنا لا أراه في اليوم إلا ساعة واحدة؟ فأين له الوقت ليتزوج أخرى؟ وأذكر مرة سألني الشيخ: ماذا تفعلين إن تزوجت؟ فقلت: لن أفعل شيئاً سوى أن لي شروطاً وهي أن يكون بيتي لوحدي، وإذا قدر الله عمل لها بيتاً مستقلاً فلن أكذب وأقول هي أختي، وسوف أحبها لأن الغيرة لا تديم الأخوة، ولن أكون أفضل من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فلقد كان يحصل بينهن مشاكل وهن زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام فما بالك بي أنا؟ وهذا أفضل من أن أتورط بالمفاخرة بين النساء بأنني أحبها وأنها أختي، أما الزيارات فهذه تأتي فيما بعد وتبعاً للظرف، وأفضل عدم الاحتكاك بالقرب حتى لا أشغل نفسي وأضيع ديني بملاحظتها والشكوى منها والله أعلم.

أفضل شهادة الجهاد لزوج ابنتي:

جميع أزواج بناتك مجاهدون، فهل ذلك شرط في أسرتك؟

- تزوجت الكبرى قبل الجهاد ولكن كانت نظرة والدها للشباب خاصة فهو يريد من زوج ابنته أن يكون مسلماً حركياً نشيطاً

يعمل للإسلام ويضحي لأجل العقيدة لذلك عندما خرج زوجي إلى الجهاد في أفغانستان لم يتأخر في الخروج معه، وكذلك فعل زوج البنت الثانية فكانا أول من خرجوا للجهاد إذ كانا متدربين على يد الشيخ، وهما ليسا خريجا شريعة بل هندسة مدنية والآخر كمبيوتر وكانا حريصين على حضور محاضرات الشيخ في كلية الشريعة بعمان. أما زوج الأخيرة فلا أدري إذا كانت عنده الثانوية العامة أم لا... ولم أسأله إذ يكفيني أن عنده خمس سنوات جهاد وهذه أكبر شهادة.

* استشهد كثير من المجاهدين العرب في أفغانستان وبعضهم كان يصطحب زوجته معه، فما حال أسر الشهداء العرب هناك؟ - لم يرجع من أسر الشهداء العرب إلا واحدة وكانت صغيرة السن ولديها طفل رضيع، وأحسب أن سبب عودتها الحاح أهل زوجها ورغبتهم في رعايتها ورعاية الطفل. وجميع زوجات الشهداء لا يحببن مغادرة أرض الجهاد، ومن كان يعمل في أحد المكاتب الإغاثية الإسلامية في بشاور يستمر صرف راتبه لأهله والآخرين تساعدنهم بقدر ما تستطيع.. وتتمنى لو يتكفل أحد المسلمين بأسر الشهداء وأن يضمن لهم حياة كريمة.

* يقال أن الرجل الأفغاني شديد مع المرأة فلا يسمح لها بالخروج ويمنع تعليمها عندما تكبر الفتاة، فهل هذا صحيح؟ وهل تساعدون لازالة هذه المفاهيم؟

- هذا غير موجود في المدن إذ تذهب المرأة إلى الجامعة وتتعلم ما شئت، ولكن في القرى يجري مما ذكرت إذ تجربة الأفغان مع التعليم كانت مرة إذ عملت الحكومات الشيوعية قبل الغزو السوفييتي العسكري على نشر الاحاد والشيوعية والاعتداء على الدين والقيم من خلال ما دعت به ببرامج محو الأمية، فوجد الآباء أن الأمية أفضل من محو الاسلام فمنعوا بناتهم وأولادهم من المدارس، فنجد أن الجيل الذي نشأ في العشرين عاماً الأخيرة أغلبه أمي.

والرجل الأفغاني ليس شديداً مع المرأة إهانة لها، بل حرصاً على حمايتها حسب اعتقاده فهو يقضي جميع حوائجها حرصاً عليها وإرضاء لها أيضاً، بل أنه يعاملها كما لو أنها جوهرة يحافظ عليها ولا يعرضها إلى بهلة الأسواق وإن كانت حالة الحرب والهجرة أدت إلى التقليل من ذلك.

وأذكر مرة أن أحضر أفغانيا والدته إلى مستشفى للنساء وهو يحملها على ظهره والمسافة طويلة بين المخيم والمستشفى وكان الأفغاني عائداً لتوه من الجبهة ليجد أمه مريضة، وتجدين أمام باب المستشفى عشرات الرجال ينامون ويقيمون بصورة مستمرة وذلك لأن ابنته أو زوجته أو أمه مريضة ومنومة في المستشفى.

والحمد لله استطعنا تطمين الأفغان من ناحية التعليم الذي تشرف عليه الهيئات الإسلامية في بشاور وكل يوم تزداد أعداد الفتيات في المدارس الإسلامية وهناك متعلقات أفغانيات تخرجن من الجامعات ولكن للأسف تخلى بعضهن عن الحجاب والتعليم الإسلامية ولكن ما لبث أن عدن إليه بعد الانقلاب الشيوعي.

* القادة الأفغان كثيرون ومعروفون ولكن لا نسمع عن ناشطات أفغانيات فلماذا؟

- هناك نساء أفغانيات ناشطات في خدمة الجهاد وتعليم المرأة ورعايتها خصوصاً، بعضهن بنات للقادة ولكن لا يرغبن في ذكر أسمائهن في الصحف أو التحدث في مؤتمرات صحفية أو غير ذلك ولكنهن يعملن بنشاط حتى دون مشورة الرجال في جمع التبرعات وإقامة المدارس الحديثة وتجاوز عملهن إلى كفالة الأيتام والطب والتمريض.

* هل تقوم زوجات القادة المعروفين كالشيخ حكمتيار أو سياف بنشاط في مضمار خدمة الجهاد؟

- زوجات القادة لا يستطيعن الخروج. والعمل إذ أن العلماء «المولوية» لهم تأثير كبير في أفغانستان ويرفضون خروج المرأة وسيجد القادة أنفسهم محرجين أمام المولوية لو تركوا نساءهم ينتقلن من مخيم إلى آخر ومن مدرسة إلى أخرى ولكن بنات القادة استطعن كسر هذه الموانع ويعملن بنشاط.

افضل التبرع للمجاهدين لا للأيتام:

* ما هي المشاريع التي تسعى الآن من أجلها لخدمة الجهاد؟
- في الحقيقة أفضل دعم الجهاد ولكنني عندما أتحدث على وضع الجهاد وأحوال المجاهدين أجد في وجوه المستمعين عدم التقبل أو الحماس ولكنهم يتفاعلون معي حين أحدثهم عن أحوال الأطفال والأيتام والأرامل والنساء المهاجرات، ولعل ذلك لأن المرأة السعودية لا تجد لها موقعا أو دوراً مباشراً داخل القضايا الإسلامية وتعتقد أن دورها هو المساندة فقط. لذلك أحرص على أن أحدثهم عن تاريخ الجهاد وأحوال المجاهدين ثم أنتقل للحديث عن المخيمات والأرامل.
عندما أدعو لدعم المجاهدين المحاصرين للمدن والتبرع لهم أو لتوفير المواصلات لنقل الذخيرة والمؤن حتى لا يتأثر الجهاد لا أجد أي تجاوب وأكثر التبرعات تأتي للأطفال والأرامل.

في الوقت الذي يجب أن تدرك فيه المرأة أن واجبها الأساسي هو نحو الجهاد، فالتبرع للمجاهد الم رابط أفضل ثم الجرحى وأخيراً المهاجرين، إذ أن انتصار المجاهدين والقضاء على الشيوعية هو الذي سينهي حالة المهاجرين البائسة.

لا أفتقد الشيخ:

* زرت المملكة من قبل أثناء شهر رمضان وكان معك الشيخ الشهيد رحمه الله فلا بد أن هناك ذكريات ولا بد أن تفتقد الشيخ، فماذا يثير هذا التساؤل في نفسك؟
- الحمد لله لم أشعر بفقد الشيخ أو ولدي رحمه الله جميعاً وذلك لقناعتي أن الشهيد حي عند الله ولنظرتي في الدنيا على أننا فيها زائرون وأنها مجرد محطة متى جاء قطاري سأستقله وأمضي فيه، فلماذا الحزن والألم أو الغضب؟ لا داعي لكل هذا إذا أمانا بقضاء الله وقدره. الحمد لله لا أشعر بفقدهم أو أن أتذكر هذا فعل كذا وهذا قال كذا وهذه نعمة من الله أرجو أن تستمر إذ لا أجد الوقت للتفكير في مثل هذه الأمور ولدي ما يشغل كل وقتي وتفكيري.

* أخيراً ماذا تقولين لكل امرأة مسلمة؟

- أقول لها أن المرأة نصف الرجل وأنها لم تخلق عبثاً وعليها أن تثبت ذلك بالعمل فهي لم تخلق للمطبخ فقط أو للزينة، بل لتحمل الأمانة مثلها مثل الرجل. أكثر المجتمعات تنظر إلى المرأة على أنها خلقت متاع من متاع الدنيا، هناك فرق بين أن أجلس أمام المرأة ساعتين. أترين وبين أن اسرح شعري في دقيقتين، لابد أن تعرف المرأة قيمة الوقت وأن الوقت والمال والفكر يحتاجها المجتمع، ولتسأل المرأة نفسها: لماذا خلقت؟ هل خلقت للزينة لتكون جميلة يتاجر بها تجار المكياج في فرنسا؟ نحن نريد الجوهر، نريد الطاقة الكامنة في المرأة لخدمة المجتمع المسلم. ويقول الله عز وجل «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» هذا الكلام موجه للمرأة أيضاً وليس للرجل فقط. فالمرأة مكلفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ما فائدة أن أكون جميلة وبيتي مرتباً وأنيقاً ونظيفاً دون أن أشغل نفسي بتربية أبنائي على الإسلام بل وأبناء الجيران أيضاً. وليت بعض النساء يتجملن ويعملن في البيت لأزواجهن، بل إن البعض يهمل ذلك في البيت ويترك المسؤولية للخادمة ويجدها زوجها منقوشة الشعر مهملة لنفسها، أما الزينة وتنظيف البيت فهي للضيوف والحفلات.

وكلمة أخرى أخص بها الأمهات أن يحرصن على اختيار المكان الأفضل لتربية أبنائهن، وليس هناك أفضل من ساحة الجهاد ومهما فعلت الأم من تعليم أبنائها من صوم وصلاة فلن تجعل من إبنها رجلاً مثملاً يفعل الجهاد. تدليل الأولاد يخلق رجالاً لا يستطيعون التحمل، حتى في حياتهم الزوجية سيعتمدون على الأب والأم في الصغيرة والكبيرة وإذا وجد هذا الشاب نفسه في جهاد فسوف يهرب لأنه لا يستطيع أن يتحمل قسوة الجهاد وعلع المارك، وهذا وجدناه في أفغانستان إذ أن قليلاً من شباب الخليج الذين أظهروا صلابة وبقا في الجهاد لسنوات وسنوات مقارنة لأبناء الدول العربية الأخرى.

أسعد لحظات حياتي .. يوم أبلغوني باستشهادهم (١)

(زوجة الشهيد عبد الله عزام)

اتفق كل من راما بعد سماعها لنبا استشهاده زوجها وابنيها.. بأنه عبرت بوضوح عن النصف الآخر المكمل للمحمة البطولة التي صنعها الشهيد الدكتور عبد الله عزام.

لم ير أحد دمعة واحدة في عينيها.. ورفضت أن ترى أي دموع في عيون من جنن من أخواتها المسلمات ليعزينها.. وقالت عبارتها التي تناقلتها وسائل الإعلام بدهشة وإكبار.. لا يعزيني أحد .. فقد زففت فرسان إلى الجنة تقصد زوجها وابنيها محمد وإبراهيم.

عندما ذهبت إليها.. كانت أم محمد تحضر وتعد للمعرض الذي تقيم الأخوات العربيات في بيشاور بأشراف أم محمد زوجة الشهيد الدكتور عبد الله عزام، هذا المعرض الذي خصص لعرض ملابس المرأة أمام النسوة الراغبات في شراء الملابس حتى يعود ريعه وريعه للمجاهدين الأفغان، لم يؤثر استشهاده زوجها عليها في متابعة القضية الأفغانية ولا في الإشراف على المهمات التي كانت تقوم بها قبل الاغتيال، هذا هو الجيل الذي كان يطمح الشيخ عزام لتربيته.

أكدت «أم محمد» في تصريحات خاصة لـ «المسلمون» أنها ستواصل المسيرة، ولن يثنيها هذا عن عزميتها واصرارها على العمل للجهاد الأفغاني، واعتبرت زوجة الشهيد أن أسعد يوم في حياتها هو صبيحة استشهاده الدكتور عزام حيث كانت السعادة تنمرها وتتدفق عليها تدفقاً، وقد كانت أم محمد في غاية الصراحة عندما قالت أنها لا تعرف الكثير عن الشهيد الذي أفنى حياته خدمة للدعوة وللمستضعفين في الأرض.

* ما أهم ملامح شخصية الشهيد رحمه الله؟

- كانت من أهم ملامح شخصيته الجدية في التعامل والاخلاص وعدم إضاعة الوقت، والزهد، وحب كل شيء مالم يكن إشماً يخالف شرع الله، بالإضافة لحب التعرف على الناس الثقات المتدينين، وقيامه بتغذية الروح المعنوية بما يقربها ويشحذها لفعل الخير.

* كيف قضيت حياتك معه؟

- كانت وبفضل من الله موفقة وسعيدة، ولم يكن يعطيني أولاده الوقت الكافي لانشغاله بهموم الأمة الإسلامية، وكان يضع الدعوة إلى الله نصب عينيه وكذلك الجهاد في سبيل الله، فجاهد في فلسطين وخاض المارك بنفسه.

* ماذا عن اشتراكه في الجهاد بفلسطين، ومنذ متى تولدت لديه فكرة الجهاد؟

- شارك في الجهاد بفلسطين، وكان أولى معاركه في ١٩٦٨/٥/٢٨ وذلك قبل أن أضع المولد الثالث الشهيد محمد بأربعين يوماً، وبخصوص فكرة الجهاد فقد كانت لديه منذ تعرفني عليه.

* بالنسبة ليوم الشهيد... كيف كان يقضيه؟

- كان يستيقظ لصلاة الفجر ثم يعقبها بقراءة الماثورات جماعياً مع الأسرة، وكان هذا أساسياً في بداية يومه، ثم يتابع حفظ وتلاوة الأولاد للقرآن الكريم ويقرأ لهم أيضاً القرآن مع مراعاة أحكام التجويد، والإشارة أثناء القراءة إلى قواعد اللغة العربية. بعدها يطر، ثم ينام أحياناً بعد الفطور إن لم تكن لديه مواعيد ولكن في غالب حياته يخرج بعد الفطور ليتابع أعماله، وأثناء دراسته في سوريا لم أكن معه، ولكن إبان دراسته في الأزهر كنت معه وذلك في الفترة الواقعة بين ١٩٧١-١٩٧٣ حيث كان يهتم بتربية الأولاد وتعليمهم اللغة العربية، واستقدم لهم آنذاك أستاذة للغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، وكان الشهيد محمد يحفظ جزءاً ونصف من القرآن وهو لا يتجاوز الأربع سنوات، وكان آنذاك على اتصال مع الإخوان المسلمين خاصة، وقد خرج الكثير منهم من السجون بعد أن

(١) جريدة المسلمون العدد (٢٥٤) ١٧/ جمادي الأولى ١٤١٠هـ - بيشاور - اصلاح قبلان، حذف بعض المقاطع التي تكررت في المقالات السابقة.